



مَكَانُهُ  
السلطان المجدد بن زامل الجبوري  
في الجزيرة العربية  
بقلم الدكتور عبد اللطيف ناصر الحميدان

لعله من البدييات القول، بأن هنالك ترابطا وثيق الصلة ما بين اتجاهات العلاقات الخارجية لأي كيان سياسي وبين أوضاعه الداخلية، إذ هما وجهان لعملة واحدة. فتتبع أوجه العلاقات الخارجية لهذا الكيان السياسي أو ذاك، وتشعبها سلبا أو إيجابا، وامتداد مجاله الحيوي ضيقا أو اتساعا، مرتبط أساسا بنوع البناء الداخلي لذلك الكيان وبقوته أو ضعفه، وما يتولد عن ذلك من دوافع واتجاهات في مجال أو أكثر. وهذه الحقيقة كانت موجودة في عالم الماضي مثلما هي موجودة في عالمنا اليوم.

ومن هنا كانت الدراسات التاريخية لعلاقات الدول الخارجية تتسم بأهمية خاصة، إذ أنها تفيد في الكشف عن أوجه وحقائق كثيرة تمت بلوتق الصلة إلى الأوضاع الداخلية، مما لا نستطيع الحصول عليها عندما نكون الدراسة ذاتا واحدا، وبذلك نكون أقرب إلى إعطاء التفسير السليم لكثير من الوقائع والأحداث، إضافة إلى التقويم لثقل أي كيان سياسي في أي مجال من المجالات السياسية منها أو الاقتصادية أو الاستراتيجية أو الحضارية.

لقد عرف منذ القدم، عن سكان جزيرة العرب، خصوصا سكان سواحلها الشرقية والجنوبية، سعة صلاتهم بعالم المحيط الهندي وتنوعها، وبأن هذه الصلات أخذت بالازدياد والانتساع والترابط منذ ظهور الإسلام، بحيث أنها قد تركت بصماتها واضحة جلية على نواح عدة من حياة مختلف شعوب المحيط الهندي والبحار المتصلة به، أضحي ما يحدث في جهة من جهاته ينعكس أثره السلبي أو الإيجابي بدرجة ما على بقية جهاته.

ومن هنا كان التحري عن مصادر هذه العلاقات والروابط، وتوسيع دائرة البحث عنها، ثم الدراسة النقدية المقارنة لها، مما يساعد، بدون شك، على إزاحة ستار القموض عن بعض الجوانب التي لاتزال مجهولة من تاريخ الجزيرة العربية، ويقرنا أكثر من التعرف على السمات العامة لذلك التاريخ<sup>(١)</sup>.

ان معلوماتنا التاريخية - على سبيل المثال لا الحصر - عن الصلات الخارجية لشرق الجزيرة العربية ووسطها خلال العصر الاسلامي الوسيط، هي في الغالب متواضعة جدا وغامضة، لذا فأني كشف بهذا الخصوص، مهما صغر في حجمه، لايد أن يلقى الاهتمام والترحيب من المعنيين بتاريخ الجزيرة العربية.

وبين أيدينا وثيقة، تستحق الدراسة والتعليق، وهي عبارة عن رسالة موجهة الى الشيخ أجود بن زامل بن حسين بن ناصر بن جبر العامري العقيلي (٨٢١ / ١٤١٨ - ؟ / ٩٠ ؟ / ١٤٩٩)<sup>(١)</sup> والذي كان أكثر سلاطين إمارة الجبور في نجد وشرقي شبه الجزيرة العربية شهرة<sup>(٢)</sup>. ومصدر هذه الرسالة هو الوزير عماد الدين محمود بن أحمد القلاواني الجبلافي الشهير بخواجه جهان (٧٤٨ / ١٣٤٧ - ٩٣٣ / ٨٨٦ / ١٤٨١)، الذي يعتبر أشهر رجال السلطنة البهنية (٧٤٨ / ١٣٤٧ - ٩٣٣ / ١٥٢٧) في الهند<sup>(٣)</sup>.

ومن المفيد في بحثنا هذا التعرف بالبيجاز على شخصية كل من: مرسل الرسالة والمرسلة اليه.

فمحمود بن أحمد القلاواني أصله من إقليم جيلان المطل على بحر قزوين، اذ ولد في قلاوان عام ٨٠٨ (١٤٠٥)، من أسرة متميزة وعلى صلة وثيقة بحكام إمارة جيلان. تلقى محمود القلاواني تعليما جيدا في صغره، ثم حج في مقتبل شبابه وأقام في مكة فترة من الزمن، لم يعد بعدها الى ايران بل انتصرف الى التجارة في الخليج العربي، وفي عام ٨٥٩ / ١٤٥٥ أبحر الى الهند، واتصل بأحمد شاه الثاني (٨٣٨ / ١٤٣٥ - ٨٦٢ / ١٤٥٧) سلطان البهنيين في الدكن الذي قره وأدناه وضمه الى كبار رجال دولته، بعد نجاحه في مهمة عسكرية كلف بها. وقد ازدادت مكانة محمود القلاواني أهمية في عهد همايون شاه بن أحمد شاه (٨٦٢ / ١٤٥٧ - ٨٦٥ / ١٤٦١) الذي جعله وزيره الأول ومنحه لقب «ملك

التجار»، ثم انه في خلال الفترة التي امتدت منذ وفاة همايون شاه حتى مقتل القلواني (٨٨٦ / ١٤٨١)، كان الوزير محمود هو رجل السلطنة البهمنية الأول الذي يواجه دفة السياستين الداخلية والخارجية. وحاز خلالها لقباً رسمياً هو «خواجه جهان» لكن شهرته في الهند به «قلوان» أو «قلواني»، نسبة الى مسقط رأسه، ظلت هي السائدة.

لقد استطاع خواجه جهان بأغبازاته ونشاطه خلال تلك الفترة، أن يحقق نجاحات هامة في الميدان السياسي والعسكري والاداري والتجاري، أدت الى أن تتبوأ السلطنة البهمنية مركزاً هاماً في شبه القارة الهندية، واحتل هو بذلك منزلة بارزة بين الشخصيات الهامة في تاريخ الهند<sup>(٢٥)</sup>.

ان الجانب الذي يجدر بنا الانتباه اليه هو أن علاقات السلطنة البهمنية التجارية والسياسية بكل من حكام مناطق ايران والخليج العربي والحجاز ومصر والدولة العثمانية كانت وثيقة ونشطة، خلال الفترة التي كان فيها القلواني صاحب الكلمة النافذة في توجيه السياسة العامة للبهمنيين.

ومما يسند ما ذهبنا اليه هو الدراسة التي نشرها جان أوبان عن علاقات دولة اقي قوبيلو في ايران مع البهمنيين<sup>(٢٦)</sup>، وكذلك سجلات قاضي مدينة بورصة العثمانية<sup>(٢٧)</sup> اضافة الى رسائل خواجه جهان نفسه الى حكام ورجال الدولة في المناطق المشار اليها آنفاً<sup>(٢٨)</sup>. بل ان القلواني نفسه كان له تجارة خاصة به، يزاولها من خلال وكلائه في جزيرة العرب والدولة العثمانية<sup>(٢٩)</sup>. الأمر الذي يحملنا على القول بأن قوة العلاقات ما بين البهمنيين والمناطق المشار اليها فيما سبق يمكن أن تعزى بشكل أساسي، توجيهها وتنفيذها الى هذا الوزير.

ولقد احتل خواجه جهان منزلة واحتراماً كبيرين في نفوس حكام المناطق المشار اليها، حتى أن السلطان محمد شاه الثالث (٨٦٧ / ١٤٦٣ - ٨٨٧ / ١٤٨٢) عندما قتل الرجل الأول في دولته خواجه جهان، وصادر أمواله، سارع الى ارسال الرسائل الى معظم حكام هذه المناطق يبرر فيها اقدامه على

فعلته هذه<sup>(١٠)</sup>. كما أن المؤرخ المكي ابن فهد (ت ٩٢٢)، قد ذكر بأنه بعد وصول خبر مقتل خواجه جهان الى مكة قرىء القرآن على روحه في المسجد الحرام، وحضر شريف مكة محمد بن بركات بنفسه يوم الختم<sup>(١١)</sup>.

## - ٢ -

لقد قام عبد الكريم بن محمد التيمدهي، كاتب الوزير خواجه جهان، بجمع عدد من الرسائل التي كان يبحث بها الوزير المذكور، وضمها كتابه المسمى «كنز المعاني من الانشاء». ويبدو أن معظم هذه الرسائل كان قد كتبها التيمدهي بخط يده، خلال فترة خدمته لخواجه جهان التي امتدت ثمان سنوات، من ٨٧٨ (١٤٧٣) حتى مقتل الأخير سنة ٨٨٦ (١٤٨١). ومن وفاته لسيدة الفتيل، أن ضمن بعضاً من رسائله المشار اليه، وكان غالباً ما ينته فيه بالشهيد<sup>(١٢)</sup>.

على أن معظم هذه الرسائل التي تضمنها المخطوط قد كتبت باللغة الفارسية ماعداً خمس منها قد كتبت بالعربية، اثنان للمولي محسن بن محمد المهدي (ت ٩٠٥/١٥٠٠) سلطان امارة المشعشين في عربستان وجنوب العراق، ورسالة واحدة لكل من شريف مكة وسلطان المماليك والسلطان أجود بن زامل الجبيري.

والواقع فإن الرسائل المتبادلة ما بين الوزير محمود القلاوي وحكام ايران ومنطقة الخليج العربي والجزائر ومصر، بالإضافة الى أنها تؤكد عمق العلاقات التي أشرنا اليها آنفاً، فانها تصلح أساساً لأن تكون من المصادر الرئيسية التي يرجع اليها في دراسة تفصيلية لهذه العلاقة وتطورها.

والذي يعنينا في بحثنا هذا هو الرسالة المرسلة الى السلطان أجود، إذ أن تحليل مضمونه من معلومات وتعاريف - على قلتها - ربما تفيدنا في اكتشاف حقائق تاريخية جديدة عن سلطنة الجبور، تدعم معلوماتنا عن الثقل السياسي لهذه السلطنة في منطقة الخليج العربي خاصة والجزيرة العربية عامة. وتكتسب

هذه الرسالة أهميتها أيضا من كونها ليست رسالة شخصية بحتة، وإنما هي ذات صفات رسمية.

والذي يجدر التنويه به هنا، هو أن سلطنة الجبور قد بلغت أوج شهرتها وسطوعها في عهد سلطانها الشيخ أجود بن زامل، الذي تولى السلطة في كل من القطيف والأحساء وبعض مناطق نجد قبل عام ٨٧٤ (١٤٧٠) بقليل<sup>(١٣)</sup>. لقد استطاع هذا الشيخ بحيوته وصلابته وعزمته الملفتة للأنظار، أن يحسن استثمار الأوضاع السياسية المحيطة بسلطنته من أجل توسيع حدوده وزيادة موارده. فقد تدخل في الصراع السياسي الدائر في عمان، وفي مملكة هرموز، التي تحتل أراضيها على جانبي الخليج العربي، ليخرج من ذلك بمكاسب كبيرة، نتج عنها ارتفاع شأن سلطنته، سياسيا وعسكريا واقتصاديا، في منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية<sup>(١٤)</sup>.

يضاف الى ذلك نجاحه الى حد كبير، في تحقيق الأمن على الطرق التي تسلكها قوافل الحج والتجارة ما بين ساحل الخليج العربي والحجاز، عبر أراضي نجد، وإن هذا الطريق أصبح يكتسب أهمية متزايدة خلال معظم القرن التاسع (الخامس عشر). بل والأكثر من ذلك فإنه كان لوجود قافلة الجبور - والتي غالبا ما يقودها الشيخ أجود شخصا أو أحد أفراد أسرته - في معظم مواسم الحج أثر يذكر في المساعدة على حفظ الأمن في الحجاز<sup>(١٥)</sup>.

ومن هنا فقد طارت شهرة الشيخ أجود، وذاع صيته، وعمت مهابته، وأضفى عليه معاصروه النعوت والألقاب الكثيرة، التي تشعر بشيء من التبجيل كتلقبه بـ «سلطان البحرين والقطيف والأحساء، ورئيس أهل نجد»<sup>(١٦)</sup>.

والذي نخلص اليه مما تقدم أنه ليس بمستغرب أن نرى سعي سلطنة الهميين لإقامة علاقات صداقة متبادلة مع سلطنة الجبور، وهي المعنية بتنمية وتوسيع علاقاتها التجارية، مع منطقة الخليج والجزيرة العربية، وإن تعبر رسالة الخواجه جهان عن ذلك، كما سوف نرى<sup>(١٧)</sup>.

ان رسالة الوزير خواجه جهان الى الشيخ بن زامل، التي نحن بصدد تحليل محتواها، لا تحمل تاريخاً محدداً. الا أن المؤرخ الفرنسي جان أوبان Aubin يفترض أن الرسالة قد كتبت بيد عبد الكريم النيمدهي خلال سنوات خدمته للوزير المذكور، والتي سبق أن قلنا، أنها قد امتدت ثماني سنوات<sup>(١٨)</sup>.

وحيث أن أوبان لم يشر الى دليل على فرضيته هذه، فلا بد أنه قد ذهب هنا المذهب نظراً الى أن هذه الرسالة كانت موجودة ضمن مجموعة رسائل خواجه جهان التي جمعها النيمدهي في كتابه «كنز المعاني». وإذا صح ما أشرنا اليه فإن هنا لا يصح أن يقوم دليلاً قاطعاً يستند اليه. فالرسائل التي ضمها كتاب «كنز المعاني» لا يجوز الافتراض أنها قد كتبت جميعها بيد عبد الكريم النيمدهي. فالكتاب قد أعده الكاتب كما يبدو كتعبير عن وفائه لسيده المقتول غدر<sup>(١٩)</sup>. ولكي يظهر كذلك، قدرته البلاغية في الانشاء. اضافة الى ذلك فإن رسائل القتل التي ضمها الكتاب، ربما يكون البعض منها قد كتب قبل دخول الكاتب في خدمته. كما يمكن أن نتصور أن رسائل خواجه جهان التي كتبها قبل التحاق النيمدهي بخدمته، بإمكان الأخير الاطلاع عليها ومعرفة مكان وجودها على وجه مؤكد، فيختار مايشاء منها ليضمه لكتابه المذكور. ثم ان المتأمل في مجموع الرسائل التي ضمها كتاب «كنز المعاني»، يدرك بأنها مختارات من رسائل خواجه جهان وليست جميع رسائله، وان اختياره هذا العدد المعين منها يعود الى أنها تختص بحكام بلاد ايران والخليج العربي والحجاز، وكان هذا الاختيار من عمل عبد الكريم النيمدهي، لأنه من أبناء الخليج العربي، وقد قضى معظم حياته يعمل فيه، ويهتم بكل مايتعلق بأحداثه<sup>(٢٠)</sup>. هذا من جهة ومن الجهة الأخرى يعود الى الصور البلاغية والمهارة اللغوية التي تبرزها هذه الرسائل، وما تسمية الكتاب بكنز المعاني من الانشاء الا دليل على ذلك.

علاوة على ذلك أن عناوين بعض الرسائل نجدها تبدأ بـ «من قول المخدم

الشهيد...» أو «من لسان اخدم...» والمقصود في كل ذلك محمود القلاوي. كما نجد منها ما يبدأ به «من المؤلف باسم الحضرة السلطانية...»<sup>(٣١)</sup> وفي ذلك ما يؤيد ما ذهبنا اليه في عدم حتمية أن جميع الرسائل في «كنز المعاني» قد كتبها التيمدهي.

على أن عدم اطمئناننا الى قوة فرضية (أوبان) حول تاريخ الرسالة المرسلة للسلطان أجود، يقتضي منا طرح فرضية أخرى لتاريخ كتابتها.

والواقع فإن ماورد في رسالة الوزير القلاوي الى السلطان أجود الجبيري من فقرة تشير الى تعرض سفينة بعض التجار من رعايا أجود، الى عملية قرصنة في عرض البحر، ولجؤتهم الى بلاد البهمنين في الهند وقد فقدوا كل شيء<sup>(٣٢)</sup>. تصلح لأن تتأمل فيها للوصول الى تاريخ تقريبي لهذه الرسالة.

ان عملية القرصنة هذه لابد أن تكون قد وقعت في المياه القريبة من سواحل البهمنين أي في خليج كمبايا بالذات، الذي تطل عليه موانئ سلطنتي الكوجرات والبهمنين، حيث لابد أن يكون رعايا أجود قد لجأوا الى أقرب ميناء بهم. أن مثل هذه القرصنة تعتبر تهديدا مباشرا وخطيرا للتجارة الخارجية للسلطنتين المذكورتين، وكان لابد من اتخاذ الاجراءات الرادعة لها.

ومراجعة سريعة لتاريخ السلطنتين المذكورتين في تلك الفترة نجد أن أهم الحروب الخارجية الكبيرة التي خاضها البهمنيون في تاريخهم، وشارك في جزء منها الكوجراتيون هي تلك التي حدثت ما بين عام ٨٧٤ (١٤٧٠) و ٨٧٧ (١٤٧٣). وكانت هناك حملات بهمة ونخوة، موجهة ضد دولة وجيانكر Vijayanagar الهندوسية، وضد نشاط القراصنة في خليج كمبايا.

ولقد تحقق للبهمنين خلال ذلك نجاحات عسكرية واقتصادية كبيرة في البر والبحر، كان من أبرزها استيلاؤهم على ميناء غوا Goa الهام على ساحل مليبار، والذي يحتمل أن يكون آنذاك من قواعد القراصنة الذين يمارسون



نشاطهم في خليج كمبايا ضد السفن المتجهة الى مولاي الكجورانيين والبهمنيين. وكان محمود القلاوي يقود هذه السفينة بنفسه، وقد استقبل بعد عودته منها بحفاوة كبيرة<sup>(٣٢)</sup>.

ولعل مما يؤيد أن عملية القرصنة التي كانت تحدث في خليج كمبايا هي من عمل الهندوس، هو ما ذكرته المصادر البرتغالية من أن راجات وجيانكر الهندوسيين قد علوا نشاطهما بعد وفاة خواجه جهان بقليل، وتمكنا من انتزاع جزء من ساحل ملبار من المسلمين عام ١٤٧٩ (٨٨٤). وأعقب ذلك تجدد نشاط القرصنة ضد سفن المسلمين حيث كانوا يأخذون حمولة السفن ويعفون عن ركبائها. كما تضيف المصادر البرتغالية بأن هؤلاء القرصنة قد تعاونوا مع البرتغاليين، حين ظهورهم لأول مرة أمام سواحل الهند الغربية، ضد المسلمين خصوصا في الاشتراك معا في مهاجمة ميناء غوا<sup>(٣٣)</sup>.

والخلاصة، يمكننا أن نفترض أن الهجوم على سفينة رعايا السلطان أجود، وقع قبيل قيام الوزير محمود قلاوي بحملاته التأديبية ضد القرصنة في خليج كمبايا، بفترة قصيرة. إذ أننا لانجد في رسالة القلاوي الى السلطان أجود ما يشير الى هذه الحملات أو حتى الاعتراف القيام بها، وربما حدثت هذه التطورات بعد ارسال هذه الرسالة. ولذلك فان التاريخ الذي تقترحه لهذه الرسالة هو في حدود عام ٨٧٤ (١٤٧٠).

ان هذا التاريخ الذي افترضناه لهذه الرسالة، يدعونا الى الاعتقاد، بأن بداية تولي السلطان أجود بن زامل الجبيري للحكم، كانت قبيل تاريخ ارسال الرسالة بقليل<sup>(٣٤)</sup>.

#### — ٤ —

تقع الرسالة المشار اليها تحت عنوان «من قول الخديم الشهيد الأكبر الى الشيخ أجود المعروف بابن جبر»<sup>(٣٥)</sup>. والخديم الشهيد، هو الوصف الذي

بمطلقه الكاتب غالبا على سيده القنيل الوزير محمود القلاوي، الشهير بخواجه جهان.

ان أول ما يلاحظ في رسالة القلاوي، هو الألقاب والنعوت التي يستعملها في مخاطبته للشيخ أجود، فهو «الملك الأعظم الأكرم الأفخم الأقدم، مالك البر واليم.. ملك ملوك العرب، سلطان أجود...». ثم عبارات «... الخناب الأميري.. الملكي الكبير...» (٢٧).

في الواقع، أن هذه النعوت والأوصاف التي استخدمها الوزير القلاوي، يستبعد أن تكون قد أطلقت اعتبارا، بالرغم من أنها تنحو الى التفضيم والتعظيم، إذ نحن نعرف صيغ المخاطبات والمكاثبات، ونوع الألقاب والنعوت التي تستخدم فيها، لها أصولها وقواعدها التي أصبحت متعارفا عليها في دواوين المكاثبات منذ أواخر العصر العباسي، حتى اكتملت صورها في القرن الثامن (الرابع عشر). ولقد تحدث كل من: ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ / ١٣٤٨) والقلقشندي (ت ٨٢٨ / ١٤١٨) اللذين سبق لهما أن شغلا مراكز كبيرة في دواوين الدولة المملوكية، عن صيغ المخاطبات وأصولها، ودرجاتها تبعا لمنزلة المخاطب ومكانته (٢٨). والذي يدعونا أن شكل المخاطبات الرسمية في تلك الفترة قد اتخذت صور ما نسميه اليوم «بأصول البروتوكول» المتعارف عليها، والتي يؤدي الخروج عليها الى بعض التعقيدات والأحراج.

وبالخلاصة، فإن صيغ الألقاب والنعوت التي استخدمها خواجه جهان في مخاطبة السلطان أجود بن زامل، هي من الأصول المتعارف عليها عند مخاطبة أمثاله، وهي تتناسب ومركزه كحاكم له نفوذ كبير في الجزيرة العربية والخليج. كما أنها لا تخلو من أوصاف حقيقية للمخاطب، ولا تحولت الى نوع من أنواع السخرية المبطة. بل يمكننا أيضا أن نفترض أن صيغة الألقاب أو بعضها، ربما كانت من وضع كتاب سلطنة الجور أنفسهم. إذ نحن نعرف أن كثيرا من الحكام يتخذون لأنفسهم ألقابا خاصة بهم وتجري مخاطبتهم على أساسها.

ان الملاحظة الثانية، والتي تكمل الملاحظة الأولى، في هذه الرسالة، هي

الصفات الشخصية التي أطلقها على أجود، فهو: «... حامي العرب والعجم، مبارز معارك الشجعان، كزار المصاف بالسيف والسنان، أعدل ملوك الأطراف والأقطار، أشجع ولاة الأزمان والأعصار، مفخر حجاج بيت الله الحرام، قدوة زوار النبي عليه السلام، ... لأزال طرق البيادي بيدوقه»<sup>(٣١)</sup> تقويته مأمونة عن نزول الطوارق...». كما أن الرسالة قد ختمت بهذا الدعاء «... رب كما وفقته بحماية أهل المدر والوبر، اجعل طول عمره الى يوم المحشر...»<sup>(٣٢)</sup>.

والذي يمكن أن نلاحظه على الأوصاف التي نعت بها الرسالة السلطان أجود، من فروسية متميزة وشجاعة متناهية، ونجاح كبير في حماية الطرق والذين يسلكونها، إضافة الى السخاء الكبير والتدين الشديد وتقوى الله، أنها في الحقيقة أوصاف كثر معاصرو أجود بن زامل والعارفون به شخصيا ترديدها. فالسهمودي (ت ٩١١) وصف أجود بأنه «رئيس أهل نجد ورأسها، سلطان البحرين والقطيف، فريد الوصف والنع، صلاحا وأفضالا، وحسن عقيدة، أبو الجود أجود بن زامل جبر، أيده الله وسدده»<sup>(٣٣)</sup>. كما أن السخاوي (ت ٩٠٢) قال عن أجود «... كان رئيس نجد ذا أتباع يزهدون على الوصف، مع فروسية، وقد تعددت في يده جراحات كثيرة.. وأقام الجمعة والجماعات وأكثر من الحج في اتباع كثيرين، يلعبون آلافا، مصاحبا للتصدق واليذل»<sup>(٣٤)</sup>.

إن الخواجة جهان يعبر في رسالته هذه الى السلطان أجود عن رغبته في أن تكون هذه الرسالة فائحة عهد من الصداقة واطمئنة، وسببا لتبادل المراسلات بينهما. إذ قال: «... ثم الداعي الى توشيح أعناق الأحوال، بقلائد المقال، ان المحب وان ما تشرف بصحبة الجنتاب الأميري، وما تزين بملاقاة الملكي الكبير.. بطمع من كرمه أن يسلك درر المهام في سلك الأعلام... ويفتح أبواب المولاة بمفاتيح المكاتبات، ليجب ذلك ازدياد صفاء النيات...»<sup>(٣٥)</sup>.

والواقع أن الذي يفهم من الفقرات الأخيرة التي أوردناها سابقا، أن هذه الرسالة كانت أول اتصال رسمي تم بين الطرفين. لذا فانه يفترض أن تكون قد

كثبت بعد تولي السلطان أجود السلطة بفترة قصيرة. إذ يستبعد أن يقوم خواجه جهان بإرسال هذه الرسالة لأجود بعد سنوات طويلة من توليه للسلطة، ثم ليعبر له عن الرغبة في إقامة علاقات صداقة متبادلة، وبخاصة وقد عرفنا سابقا بأن رجل الدولة البهمنية شديد الاهتمام بتوثيق الروابط مع منطقة الخليج العربي. فإذا كان افتراضنا هذا سليما، فإنه يصح أن نتخذ من الفقرات المشار إليها دليلا آخر يؤكد ما افترضناه سابقا حول التاريخ الذي حررت فيه هذه الرسالة<sup>(٣٩)</sup>.

على أن المير الظاهر من الرسالة التي دفعت بالخواجه جهان لكي يكتب إلى السلطان أجود الجبيري، كان لاختياره بتعرض سفينة تحمل تجارا من رعاياه إلى عملية قرصنة في عرض البحر وبأنهم وصلوا إلى بلاد البهمنين، وقد فقدوا كل ماكانوا يحملونه، بما في ذلك الرسائل التي اعتادوا حملها معهم للتعريف بهويتهم، والتي كانت تماثل فيما تؤديه، جوازات السفر في وقتنا الحاضر. «...ينتهي بين يدي الأميري أن أنفاره الجائين إلى هذه الديار، ماكان معهم الكتاب والأخبار، لوقوع الواقعة عليهم في البحر العميق، وهو غلبة السارقة عليهم في أثناء الطريق...»<sup>(٤٠)</sup>.

على أنه يفهم ضمنا من الفقرات السابقة وجود صلات تجارية ما بين شرقي الجزيرة العربية وسلطنة البهمنين، وأن التجار العرب قد اعتادوا التردد على بلاد الدكن في الهند، وأن ما وقع لرعايا أجود من أضرار، والذي قد يكون قريبا من سواحل بلاد البهمنين، لا يتحملون مسئوليته بشكل مباشر، وليس في الأمر من تواطؤ موجه ضدهم.

والذي يبدو أن الحادثة نفسها خطيرة بحيث يخشى أن تثير غضب السلطان أجود، كما أنها في نفس الوقت تصلح لأن تتخذ سببا لفتح باب الحوار والمراسلات ما بين الطرفين، وبأن يرسل خواجه جهان بممثل عنه يحمل هذه الرسالة ليطمئن السلطان أجود مباشرة ويطلعه على ملابسات الحادثة. «... ولما توجه حامل الصحيفة، إلى جانب الجنب الملكي، وكان المقصود تروية

حديقة الغبة الأزلية، ما أظن المقال واختصر بشرح الحال...»<sup>(٣٦)</sup>.

بقى أن نقول إن الرسالة قد ختمت بكلمتين يحسن عدم تجاهلهما وهما «محمد وحيدر»، وذلك كجزء من الدعاء لأجود. إن وجود هاتين الكلمتين يوحي بأن كاتبها متشيع. والواقع أن ما نعرفه عن سكان جيلان، والذي منهم خواجه جهان، هم سُنيو المذهب، وكان ذلك أحد أسباب تعاطفهم مع الدولة العثمانية وتعاطفها معهم أيضا خلال الصراع الذي دار مع الدولة الصفوية في إيران، وهي على المذهب الشيعي، وذلك طوال القرن العاشر (السادس عشر). كما أنه يفهم من عبارات المؤرخ المكي ابن فهد، أن الشيخ محمد قلاوئي، وهو ابن أخ محمود قلاوئي - خواجه جهان - كان من الشخصيات البارزة في المجتمع المكي في عصر ابن فهد<sup>(٣٧)</sup>، وعليه يمكن أن نتساءل هل أن الخواجة قد تشيع بعد ذلك، أما أن هاتين الكلمتين قد أضافهما الناسخ، وهو الحسين بن أحمد الكركلائي؟<sup>(٣٨)</sup> خاصة وأن الفقرات الأخيرة من الرسالة، تستقيم معنى وسجعا من دون ضرورة لهاتين الكلمتين.



هناك تساؤلات من المقيد مناقشتها، وهي إلى أي مدى تطورت العلاقات بين السلطتين بعد هذه الرسالة، وما هو رد السلطان أجود الجبيري عليها؟.

في الحقيقة أنه على الرغم من عدم وجود أدلة بين أيدينا على استمرار تبادل الرسائل بين الطرفين، إلا أنه ليس هناك ما يحول دون الافتراض بأن العلاقات بينهما قد استمرت جيدة. إذ أنه على الرغم من الروابط الوثيقة التي تربط ما بين البهمنين والمروزيين، فإننا لا نملك دليلا يؤيد وقوف البهمنين إلى جانب المروزيين في صراعهم الطويل مع الجبور في الخليج العربي<sup>(٣٩)</sup>.

والواقع فإن مقياس حسن العلاقة ما بين الدول في تلك العصور، هو عدم تعرض رعاياهم - خاصة التجار منهم - إلى أي نوع من أنواع المضايقات في

بلد ما، سواء خلال مرورهم به أو عند إقامتهم فترة فيه. وعلى هذا الأساس فأننا لم نعتبر على شكوى، من أي نوع، صادرة من طرف ضد الطرف الآخر، في حين أننا عثرنا على رسالة شكوى من الخواجه جهان، إلى سلطان مصر المملوكي الأشرف قايتباي (٨٧٢ / ١٤٦٨ - ٩٠١ / ١٤٩٦). والرسالة تصف ما يلاقه التجار الواصلون إلى جدة، من مظالم على يد قراجا مباشر جدة<sup>(١٠)</sup>، حيث جاء فيها «... إن السفن والمراكب الحجازية<sup>(١١)</sup>، إذا وصلت من الجدة إلى بنادر الهند في هذه الحجة، روى ثقاة رواكبها، حديث تلاطم الجور والعدوان، وحكوا عن تصادم طوفان الخسران، شاكين عن تعدي قراجة، وتظاوله، باكين عن افراط ظلمه وتوغله، بحيث لم يبق أحدا من المسلمين الا وقد نهب أمواله، وما ورد عليه أحدا<sup>(١٢)</sup> الا وقد شوش أحواله...». ثم يضيف خواجه جهان مهددا السلطان المملوكي بمقاطعة التجار لميناء جدة، إذ قال «... ومن أجل ذلك قد تفر طياع المشردين في هذه السنة عن الورد بتلك الأمكنة...»<sup>(١٣)</sup>.

على أنه من المعروف جشع سلاطين المماليك عموما، وأنهم قد شددوا قبضتهم خلال القرن التاسع (الخامس عشر) على واردات الحجاز عامة وعلى جمارك جدة خاصة، وأرهبوا التجار القادمين إليها بالضرائب الباهظة، بل واحتكروا لأنفسهم حق شراء بعض السلع الهندية المعينة من هؤلاء التجار بأسعار واطقة، ومن ثم يقومون ببيعها للتجار الإيطاليين بأسعار مرتفعة محققين بذلك لأنفسهم أرباحا طائلة، غير آبهين بنتائج سياستهم الضارة. ويتجلى ذلك واضحا في سياسة كل من برسباي (٨٢٥ / ١٤٢٢ - ٨٤١ / ١٤٣٧) وقايتباي (٨٧٢ / ١٤٦٨ - ٩٠١ / ١٤٩٦). وإذا ما عرفنا بأن بعض التجار يضطرون في أحيان إلى دفع الرسوم على بضائعهم، مرة في عدن وأخرى في جدة إضافة إلى بعض نقاط المرور الأخرى، أدركنا مدى الخيف الذي كان يصيبهم<sup>(١٤)</sup>.

والسؤال المطروح هو، هل لجأ بعض التجار الذين يأتون بسلعهم من الهند، وخاصة من كمبايا، وفي هذه الفترة بالذات، إلى تحاشي سلوك طريق البحر الأحمر للأسباب المذكورة آنفا، إضافة إلى أسباب تتعلق بالتجاهات الرياح

في البحر الأحمر والتي لا تكون مساعدة لدخوفهم اليه في بعض الفصول، للوصول الى جدة في موسم الحج؟. أو بكلمة أخرى هل اتجه هؤلاء التجار الى استخدام موانئ الخليج العربي، ومن بينها موانئ بلاد بني جبر، عوضا عن موانئ البحر الأحمر؟.

للإجابة عن ذلك، نقول ابتداءً، أن الخليج العربي كان خلال هذه الفترة، مثلما كان قبلها وبعدها طريقا تجاريا هاما، تدخله السفن القادمة من المحيط الهندي والبحر العربي، وبشكل خاص في شهري تموز وآب (يوليو وأغسطس) لتفرغ حمولتها في موانئه لتخرج منه وهي محملة بالتمور والسلع الأخرى. واستكمالا لدورة الخطوط التجارية، فإن القوافل اليمة تقوم بنقل هذه السلع الى مناطق مختلفة، خاصة الى بلاد الشام والأنضول، حيث تنطلق هذه القوافل اما من موانئ الساحل الابرائي لتجتاز المضيق الابرائي لتتخذ عدة مسارات وصولا الى المناطق المشار اليها أعلاه، أو أن القوافل تنطلق من البصرة لتسير بمحاذاة وادي الفرات من جهة الصحراء لتواصل سيرها الى الشام أو تنحرف شمالا لتدخل الأنضول.

وتشير الأبحاث الحديثة الى أنه خلال الفترة المشار اليها، كانت المنتجات الهندية تتوفر بكثرة في أسواق بورصة في تركيا وفي بعض مدن الشام، آتية عن طريق الخليج العربي<sup>(١٥)</sup>.

أما فيما يتعلق بتجارة الهمنين، والذي يهمننا هنا التحري عنها، فإن بين أيدينا رسالتين مرسلتين من الخواجه جهان الى المولى محسن المشعشمي حاكم عربستان والبصرة، يوصي فيها الأخير بمحسن معاملة اثنين من وكلائه يحملان هذه الرسائل، وذلك في أثناء وصولهما الى البصرة للتجارة<sup>(١٦)</sup>.

كما أن سجلات قاضي بورصة للسنوات من ٨٨٤ (١٤٧٩) الى ٨٨٦ (١٤٨١) تشير الى وجود وكلاء الخواجه جهان يمارسون فيها التجارة بالسلع الهندية، كانوا يصلون اليها بسلعهم عبر بلاد العرب<sup>(١٧)</sup>. ولما كانت الجهة التي

اجتازوها من بلاد العربي غير معروفة، فمن الصعب الافتراض بأنهم أو غيرهم من التجار الهنود، كانوا قد استخدموا موانئ شرق الجزيرة العربية الى الحجاز ومن ثم التوجه الى تلك الجهات عبر بلاد الشام، وذلك عن طريق مرافقة قافلة الجبور التي تتحرك من القطيف والأحساء كل سنة تقريبا قبيل موسم الحج وينضم اليها أناس كثيرون من البصرة وجنوب ايران وهم يحملون سلع تلك الجهات اضافة الى السلع الهندية ليجتازوا نجدا الى المدينة أولا ومن ثم الى مكة (١٨).

ومهما يكن من أمر فإن سعة نفوذ السلطان أجود الجبوري في الخليج والجزيرة العربية مما لا يمكن للرجل الأول في الدولة اليعمنية خواجه جهان، أن يتجاهله أو يستغنى عن مساعدته أحيانا، وهو المحرص على توسيع نشاطه التجاري والحفاظ على هذه المنطقة.

كما أن السلطان أجود هو الآخر سوف يكون بالتأكيد حريصا على التجاوب مع الرغبة الصادرة من الخواجه جهان، بمد جسور من الصداقة والتعاون بينهما. وعليه فليس من المبالغة أن نتصور قيام علاقات وثيقة بين الطرفين.

## - ٦ -

بعد أن أتينا على آخر ما أردنا أن نقوله بخصوص رسالة خواجه جهان الى السلطان أجود والظروف الضيقة بها قبل وبعد. نحب أن نلفت الانتباه الى أن هذه الدراسة لم يقصد منها إضواء جديدة على سلطنة الجبور وما كانت تحتله من مكانة وأهمية في عهد سلطانها أجود، فحسب، وإنما قد قصد منها أيضا تحفيز المهتمين بتاريخ جزيرة العربي الى توسيع دائرة البحث والتحري عن المصادر، نظرا للاحتيالات المتوفرة في العثور على ما قد يساعد في الكشف عن بعض من جوانب تاريخها، في بعض الفترات على الأقل.

واستكمالا للفائدة التي دبرج من أجلها البحث، نثبت فيما يلي، نص



رسالة عواجه جهان الى الشيخ أجود بن زامل الجبيري العامري، وهو المعروف ومن أعقبه من سلاطين الجبور، بـ «ابن جبر».

«من قول المخدم الشهيد الأكبر الى الشيخ أجود المعروف بابن جبر»<sup>(١٩)</sup>

بعد حمد الله والصلاة على نبيه، فشراف التسليمات العظيمة، ونفاس التحيات الزاكية، على الملك الأعظم الأكرم الأمير الأفخم الأقدم، مالك البر واليم، حامي العرب والعجم، مبارز معارك الشجعان، كرار المصاف<sup>(٢٠)</sup>، بالسيف والسنان، أعدل ملوك الأطراف والأقطار، أشجع ولاة الأزمان والأعصار، مفتخر حجاج بيت الله الحرام، قدوة زوار النبي عليه السلام، المخصوص بمواطف العلي الصمد، ملك ملوك العرب، سلطان أجود، لازال طرق البوادي ببدرقة<sup>(٢١)</sup> تقويته مأمونة عن نزول الطوارق، وثواقب مناقبه لأمعة عن آفاق السنة الخلاق. وأما جواهر الصباية والاشتياق وفرايد الغرام والأشواق، فقد كثرت بحيث لا يفي بحوائثها دروج انجاز والاستعارات، ولا يكفي باحاطتها أصداف التراكيب والعبارات.

بيت :

الشوق أكثر أن يختصر جارحة كلى اليك على الحالات مشتاق

المسؤول من كرم واهب المأمول، أن يرفع نقاب التوقف عن مخدرات الالتقاء، فانه تعالى قادر على ما يشاء، ثم الداعي الى توشيح أعناق الأحوال بقلاميد المقال، ان المحب وان ما تشرف بصحبة الجنب الأميري، وما تزين بملافاة الملكي الكبير، لكن فص قواده مركزوز في خاتم محبته وغواص جناته، سياح في بحر مودته، يطمع من كرمه أن يسلك درر المهام في سلك الاعلام، لينصب على عابقة لواء الائتام ويفتح أبواب الموالاة بمفاتيح المكاتبات، ليوجب ذلك ازدهاد صفاء النيات وينهي بين يدي الأميري أن أنفاره الجائون الى هذه الديار ماكان

معهم الكتاب والأخبار، لوقوع الواقعة عليهم في البحر العميق، وهو غلبة السارقة عليهم في أثناء الطريق. ولما توجه حامل الصحيفة الى جانب الجنب الملكي، وكان المقصود تروية حديقة الحية الأزلية ماأطنب المقال واختصر الحال، وختم بدعاء حصول الآمال. ربُّ كما وفقته بحماية أهل المدر والوبر، اجعل طول عمره الى يوم الحشر، بمحمد وحيدر.



## التعليقات والخواشي

(١) وفاته، لابد أن يشير هنا إلى أن جهوداً شخصية ورسمية قد بذلت في القديس الأخير، ولا زالت تبذل في الكشف عن المصادر المختلفة لتاريخ الجزيرة العربية، ممثلة في الجهود المبذولة للشيخ حمد الحامد، سواء بما نشبه من كتب أو من خلال محله «العرب» التي لها سجلها وأسلوبها المميز، بحيث يمكن اعتبارها مدرسة قائمة بذاتها، حية بالدراسة. كذلك بما بذلته دار الملك عبد العزيز، منذ انشائها، سواء بسعيها في جمع كل ما يمت بصلة إلى تاريخ الجزيرة العربية، أو من خلال تناولها ومحلها «الفايزة».

وهنا لابد أن يذكر جهود قسم التاريخ والآثار في جامعة الرياض، الذي أدرك توليه الخهد في الكشف عن مصادر تاريخ الجزيرة، فجعل موضوع توليته الأول التي عقدت في الرياض في ربيع ١٣٩٧/ ٩٧٧م هو «مصادر تاريخ الجزيرة العربية».

(٢) لمهد من التفصيل عن أعماله الجبورية عامة وحياة الشيخ أجود خاصة، يمكن الرجوع إلى بحثنا «التاريخ السياسي لأعماله الجبورية في نجد وشرق الجزيرة العربية، ١٢٠/ ١٢٧ - ١٣١/ ١٣٢٥» «مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة» ١٦ (١٩٨٠م) ٣١ - ١٠٩. هذا وسوف يتم تنقيح هذا البحث على ضوء عصوص «جديدة».

(٣) لا يعرف بالضبط تاريخ وفاة الشيخ أجود إلا أنه من المرجح أنه قد توفى بعد عام ٩٠١ هجرية لا تتجاوز بكثير السنة الواحدة.

(٤) حول تاريخ التولية البهنية، يمكن الرجوع إلى البحث المكثف عنها في الطبعة الجديدة لدائرة المعارف الإسلامية H.K. Sherwani, Art, «Bahmanis, El2»

(٥) حول سيرة محمود غوان (حواشي جهاد) يمكن الرجوع إلى الطبعة القديمة من المصدر السابق، قبان. T.W. Haig, art, «Mahmud Gawan», El

(٦) J. Aubin, «Les relations diplomatiques entre les Aq-qoyunlu et les Bahmanides», in Iran and Islam, (ed). C.E. Bosworth, Edinburgh, 1971, pp. 11 - 15.

(٧) H - Inalcik, Bursa and the Commerce of the Levant Journal of the Economic and Social History of the Orient, vol - 111, 1960. pp. 130 - 147, esp. 141.

(٨) راجع عبد الكريم بن محمد البغدادي، كثر المغالي من الإنشاء، مخطوطة في مكتبة رئيس الكتاب مصطفى أفندي، اسطنبول والمكتبة السلمانية، رقم ٨٨٤، والمخطوطة هذه قد كتبت في دمشق عام ٩٩٦ (١٥٨٨) خط الحسني بن أحمد الكرياني.

Inalcik, Bursa. (٩)

(١٠) راجع كثر المغالي.

(١١) عبد العزيز بن عمرو بن عهد (ت ٩٢٢) «بلوغ المرى في ذيل انحال الورى بأخبار ثم المرى، مخطوطة في مكتبة الحرم المكي بدون رقم، «تاريخ دهلوي» وهي مصورة في مكتبة جامعة الرياض (في حواشي ذي الحجة ١٤٨٦).

(١٢) راجع كثر المغالي.

(١٣) لقد سبق أن ناقشنا في بحثنا «التاريخ السياسي لإمارة الحبور» الذي أشرنا إليه سابقا، الأداة التي لحدها لنا بداية حكم السلطان أحمد وحرجا بنتيجة، وهي أنها كانت في حدود عام ٨٧٥ / ١٤٧٦. إلا أننا على ضوء رسالة حواشي جهاد عابا أخذنا نميل إلى القول بأنها كانت قبل عام ٨٧٦ (١٤٧٠) بقليل. هذا وسوف نرى في الصفحة (٧) الأسباب التي دعانا إلى ذلك.

(١٤) من أجل الاختلاف على تفاصيل ذلك، راجع الحميدان، التاريخ السياسي لإمارة الحبور، ٩٦ - ٩١.

(١٥) حول فواصل الحبور، راجع، عمر بن عهد (ت ٨٨٥) انحال الورى بأخبار ثم المرى، رقم المخطوط بدون، «تاريخ دهلوي»، مكتبة الحرم المكي. ومن نسخة مصورة في مكتبة جامعة الرياض. حواشي ٨٧٦. كذلك راجع عبد العزيز بن عمرو بن عهد، انصهر السابق، حواشي ٨٨٨، ٨٩٣، ٩٠١، ٩١٠، ٩٢١. أيضا راجع بحثنا السابق «التاريخ السياسي لإمارة الحبور».

(١٦) السهري (ت ٩١١ / ١٥٢) وباء الوفا والقسماء (١٩٥٥) ج ٣ / ١٩٣. السهري (ت ٩٠٤ / ١٤٩٧)، الضوء اللمع لأهل القرن التاسع (منشورات مكتبة الحياء، بيروت، ب.ت. ١ / ١٩٠). كذلك راجع الحميدان، انصهر السابق، ٥٠.

(١٧) لابد لنا أن نذكر هنا فصل البروفسور جان توبن، لأنه الوحيد الذي أشار إلى وجود هذه الرسالة ضمن مخطوطة «كثر انحال» فدعنا ذلك إلى الحصول على نص هذه الرسالة. إلا أنه قد التمس عليه عندما ذكر بأن هذه المخطوطة موحدة ضمن مجموعة مكتبة عاشر أفندي، والصحاح هو ما ذكرناه من أنها ضمن مكتبة رئيس الكتاب مصطفى أفندي، كما بيث ذلك فهرس المكتبة المذكورة ضمن مكتبة السلمانية باسطنبول وأكد ذلك أيضا مسؤول المكتبة المذكورة.

Aubin, Le Royaume D, Ormuz au début du XVI<sup>e</sup> Siècle<sup>١٨</sup> in Mare (١٨)  
Luso - Indicum, (Jneve 1973)  
11 - 77 - 179, esp. 124, note. 292.

El, Mahmud (١٩) حول التهمة التي لاقها حصص حواجه جهان وظروف قتله، راجع  
Gawan. كذلك راجع ابن عهد، بلوغ القرى (في حوادث ذي الحجة ٨٨٦هـ).

Aubin La vie et (٢٠) لمن عهد التعرف على حياة الهمدني وآثاره، يمكنه الرجوع الى  
L'avute de Nimdihi, Revue des Etudes Islamiques, 34, (1977), 61 - 81.

يبدو أن عبد الكريم الهمدني أراد أن يماكي في عنوان كتابه الكتاب الذي كان قد ألفه محمود قلاوون  
(حواجه جهان) السمي «رياض الانشاء» الذي نشره شيخ جاند في حيدر آباد عام ١٩٢٨. والكتاب  
المذكور يعتبر مصدراً مهماً لحياة ونشاط القلاووني.

(٢١) راجع حول ذلك عناوين الرسائل المختلفة في «كتر المعالي».

(٢٢) كتر المعالي، ورقة ٦٠٤.

(٢٣) راجع دائرة المعارف الإسلامية الطبعة القديمة، مادة «محمود قلاوون». وقد مر الإشارة الى ذلك.  
Iqtidar Alam Khan, Early use of Cannon and Musket in India, وكذلك  
Journal of the Economic and Social of the Orient, vol - xxiv, Part 11,  
1981. 146-63, esp. 62-3.

The Book of Duarte Barbosa, Translated from the Portuguese (٢٤)  
text by M. Longworth Dames, vol. I, reprint in W-G, Wiesbaden, 1967,  
186 (Issued by the Hakluyt Society, 2nd series, no 44).

(٢٥) راجع الحاشية رقم (١٣).

(٢٦) كتر المعالي، ورقة ٦٠٣.

(٢٧) المصدر السابق، ورقة ٦٠٣ - ٦٠٤.

(٢٨) العمري : التعريف بالصمصام الشريف القاهرة، ١٣٧٢.

القلقشندي : صبح الأعشى، القاهرة، ١٩١٥، جزء ٥/ ٤١٧ - ٤١٨، ٧/ ٣٧٠ - ٧١.

(٢٩) البقرة أو البقرة هي الحفارة، المفقود هو الحفير، وهنا تعني حفارة القوافل الصحراوية. راجع الفيوزايلدي، القاموس المختص، فصل الباب، باب القاف. الريدي، تاج العروس، فصل الباب، من باب القاف.

- (٣٠) كنز المعاني، ورقة ٢٠٣ - ٢٠٤.  
 (٣١) وفاء الوفاء، ٣ / ١٩٣.  
 (٣٢) الضوء اللامع، ١ / ١٩٠.  
 (٣٣) كنز المعاني، ٢٠٣ ب.  
 (٣٤) راجع الصفحة (٧) من هذا البحث وكذلك الخاشية (١٣).  
 (٣٥) كنز المعاني، ورقة ٢٠٣ - ٢٠٤.  
 (٣٦) المصدر السابق ورقة ٢٠٤.  
 (٣٧) راجع، بلوغ القرى (حوادث دي الحجة ٨٨٦).  
 (٣٨) كنز المعاني ورقة ٢٠٧.  
 (٣٩) حوف الصراع بين الحور وملكة هرموز راجع نخسا السابق، ٤٧ - ٥٣.

(٤٠) لم يرد في الرسالة تاريخ محدد ولا ذكر للأشرف قايناي، وإنما عرفنا بتاريخ الرسالة التفصيلي من ورود اسم فراخا الذي كان نائظاً على حده من أواخر ٨٨١ إلى أيلول ٨٨٣. راجع، الخاف الوري، حوادث السنوات المشار إليها. وكذلك الضوء اللامع، ٦ / ٢١٥.

(٤١) يقصد هنا بالملوك الخيرية أي تلك التي تتبرع على المحارة في حين أن العرب يطلقون على السب التي تتبرع عادة على موانئ اغتد بالملوك الخيرية، وليس من علاقة بين هذين التعبيرين ومن يملكها.

(٤٢) هكذا وردت في النص والصحيح أحد.

(٤٣) كنز المعاني ورقة ٢٠٢ - ٢٠٣.

ملك

(٤٤) راجع ابن فهد، الخاف الوري...، حوادث السنوات ٨٢٨، ٨٣٤، ٨٣٨، ٨٨١. بلوغ القرى...، ٩١٨، ٩١٩. كذلك راجع د. صبحي لبيب، التحلية الكارمية وتحلية مصر في العصور الوسطى، الحلقة التاريخية المصرية (١٩٥٢) ٤ / ٢ ص ٥ - ٦٣. كذلك محمد أمين صالح، تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الحراكسة، الدار، العدد ٢ / السنة السادسة (١٩٨١/ ١٩٨٠) ص ١٢٦ - ١٤٦.

Frederic C. Lane, Pepper Prices Before Da Gama, Journal of Economic History, vol, 28 (1968) pp 590 - 97.

A-H- Lybyer, the Ottoman Turks and the Routes of Oriental Trade, the English Historical Review, No. Cxx, oct, 1915, 577 - 88, esp. 581 - 83; E-C-Lane, Ibid; Inalcik, op. Cit.

E. Ashtor, Spice Price in the Near East in the 15th Century, J- of the Royal Asiatic Society, No. 1 1976. 26-14.

هذا ويذكر ابن بطون بأنه في ربيع الآخر سنة ٨٨٥ هـ / يوليو / تموز ٤٨٠ تعرضت قافلة تجارية كانت تضم ثلاثة آلاف رجل متجهة من العراق إلى الشام على الطريق الصحراوي وسبب ما فيها من بهائم. إن الأمانة تؤكد أيضا استمرار سيرة القوافل التجارية ما بين العراق وبلاد الشام، إن لم تكن قد شطت في هذه الفترة، وقد ورد في هذا النص ذكر لعلاقة تربط ابن حجر (أحمد بن زامل) بأحد رؤساء القافلة، الأمر الذي يعهم به بأن الحبور ربما قد ساهموا في هذه القافلة.

راجع محمد بن بطون، مفاكهة الخلال في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، القسم الأول / القاهرة ١٣٨١ / ١٩٦٢، ١٨.

(٤٦) كسر المعاني، ورقة ٩٠٤ - ٩٠٧.

Inalcik, Op. Cit, 141.

(٤٧)

(٤٨) حول قوافل الحبوب راجع الحاشية (١٥). ويقتضي منا أن نشير هنا إلى أنه لدينا الدليل على أن بعض القادمين من السواحل العربية للهند يأتون إلى الحجاز عن طريق شرق الجزيرة العربية وذلك عندما لا تكون الظروف ملائمة عن طريق البحر الأحمر. فابن بطون يذكر أنه بعد انتصار الأسطول المملوكي بقيادة حسن الكودي في معاركه الأولى أمام الأسطول البرتغالي عاد بعض أفراد الجيش المصري عن طريق بلاد بني حمر، راجع بلوغ القرى حوادث حماد الأول عام ٩١٤.

(٤٩) يقع النص بأكمله في كسر المعاني في الورقة ٩٠٣ حتى ٩٠٤.

(٥٠) انصاف جمع مصف وهو موضع الصب، المراد هنا ذكره حين اصطفاك الحبوب في القتال.

(٥١) بدققة، سبق أن شرحنا معناها في الحاشية (٢٩) وهي تعني اختلاط.